

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ١٦-٧-١٤٠٤-١٢

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

سورة آل عمران

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ لِمَا آوَاهُ الْإِلَٰهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

سورة آل عمران

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ
ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• بيان

• قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، عبر تعالى بالإنزال دون التنزيل لأن المقصود بيان بعض أوصاف **مجموع الكتاب** النازل و خواصه، و هو أنه مشتمل على آيات **محكمة** و **آخر متشابهة** ترجع إلى المحكمات و تبين بها، فالكتاب مأخوذ بهذا النظر أمرا واحدا من غير نظر إلى تعدد و تكثر فناسب استعمال الإنزال دون التنزيل.

منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات

- قوله تعالى: منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات، مادة حكم تفيد معنى كون الشيء بحيث يمنع ورود ما يفسده أو يبعضه أو يخل أمره عليه، و منه الإحكام و التحكيم، و الحكم بمعنى القضاء، و الحكمة بمعنى المعرفة التامة و العلم الجازم النافع، و الحكمة بفتح الحاء لزام الفرس، ففي الجميع شيء من معنى المنع و الإيقان، و ربما قيل: إن المادة تدل على معنى المنع مع إصلاح.

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- والمراد هاهنا من إحكام المحكمات إتقان هذه الآيات من حيث عدم وجود التشابه فيها كالمتشابهات

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- فإنه تعالى و إن وصف كتابه بإحكام الآيات في قوله: «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»: هود - ١، لكن اشتمال الآية على ذكر التفصيل بعد الإحكام دليل على أن المراد بالإحكام حال من حالات الكتاب كان عليها قبل النزول و هي كونه واحدا لم يطرأ عليه التجزى و التبعض بعد بتكثر الآيات، فهو إتقانه قبل وجود التبعض، فهذا الإحكام وصف لتمام الكتاب،

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ

الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ
فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- قوله تعالى: «الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» **المقابلة بين الإحكام و التفصيل** الذى هو إيجاد الفصل بين أجزاء الشئ المتصل بعضها ببعض، و التفرقة بين الأمور المندمجة كل منها فى آخر تدل على أن المراد بالإحكام ربط بعض الشئ ببعضه الآخر و إرجاع طرف منه إلى طرف آخر بحيث يعود الجميع شيئاً واحداً بسيطاً غير ذى أجزاء و أبعاض.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

• و من المعلوم أن الكتاب إذا اتصف بالإحكام و التفصيل بهذا المعنى الذى مر فإنما يتصف بهما من جهة ما يشتمل عليه من المعنى و المضمون لا من جهة ألفاظه أو غير ذلك، و أن حال المعانى فى الإحكام و التفصيل و الاتحاد و الاختلاف غير حال الأعيان فالمعانى المتكثرة إذا رجعت إلى معنى واحد كان هذا الواحد هو الأصل المحفوظ فى الجميع و هو بعينه على إجماله هذه التفاصيل، و هى بعينها على تفاصيلها ذاك الإجمال و هذا كله ظاهر لا ريب فيه.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

• و على هذا فكون آيات الكتاب محكمة أولاً ثم مفصلة ثانياً
معناه أن الآيات الكريمة القرآنية على اختلاف مضامينها و
تشتت مقاصدها و أغراضها ترجع إلى معنى واحد بسيط، و
غرض فارد أصلي لا تكثر فيه و لا تشتت بحيث لا تروم
آية من الآيات الكريمة مقصداً من المقاصد و لا ترمى إلى
هدف إلا و الغرض الأصلي هو الروح السارى فى جثمانه
و الحقيقة المطلوبة منه.

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

- فلا غرض لهذا الكتاب الكريم على تشتت آياته و تفرق أبعاضه إلا غرض واحد متوحد إذا فصل كان في مورد أصلا دينيا و في آخر أمرا خلقيا و في ثالث حكما شرعيا

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ

• و هكذا كلما تنزل من الأصول إلى فروعها و من الفروع إلى فروع الفروع لم يخرج من معناه الواحد المحفوظ، و لا يخطئ غرضه فهذا الأصل الواحد بتركبه يصير كل واحد واحد من أجزاء تفاصيل العقائد و الأخلاق و الأعمال، و هي بتحليلها و إرجاعها إلى الروح الساري فيها الحاكم على أجسادها تعود إلى ذاك الأصل الواحد.

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ

• فتوحيدة تعالى بما يليق بساحة عزه و كبريائه مثلا في
مقام **الاعتقاد** هو إثبات أسمائه الحسنی و صفاته العليا،
و في مقام **الأخلاق** هو التخلق بالأخلاق الكريمة من
الرضا و التسليم و الشجاعة و العفة و السخاء و نحو
ذلك و الاجتناب عن الصفات الرذيلة، و في مقام
الأعمال و الأفعال الإتيان بالأعمال الصالحة و الورع
عن محارم الله.

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ

• و إن شئت فقل: إن التوحيد الخالص يوجب في كل من مراتب العقائد و الأخلاق و الأعمال ما يبينه الكتاب الإلهي من ذلك كما أن كلا من هذه المراتب و كذلك أجزاءها لا تتم من دون توحيد خالص.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- فقد تبين أن الآية في مقام بيان رجوع تفاصيل المعارف و الشرائع القرآنية إلى أصل واحد هو بحيث إذا ركب في كل مورد من موارد العقائد و الأوصاف و الأعمال مع خصوصية ذلك المورد أنتج حكما يخصه من الأحكام القرآنية، و بذلك يظهر:

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

- **أولاً:** أن قوله: «كِتَابٌ» خبر لمبتدأ محذوف و التقدير: هذا كتاب، و المراد بالكتاب هو ما بأيدينا من القرآن المقسم إلى السور و الآيات، و لا ينافي ذلك ما ربما يذكر أن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن بما هو في اللوح فإن هذا الكتاب المقرو متحد مع ما في اللوح اتحاد التنزيل مع التأويل.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- و ثانيا: أن لفظه «ثم» في قوله: «ثم فصلت» إلخ، لإفادته التراخي بحسب ترتيب الكلام دون التراخي الزماني إذ لا معنى للتقدم و التأخر الزماني بين المعاني المختلفة بحسب الأصلية و الفرعية أو بالإجمال و التفصيل.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- و يظهر أيضا ما في بعض ما ذكره أرباب التفاسير في معنى الآية كقول بعضهم:
- إن معناها أحكمت آياته فلم تنسخ منها كما نسخت الكتب و الشرائع ثم فصلت بيان الحلال و الحرام و سائر الأحكام.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

• وفيه: أن الواجب على هذا المعنى أن يقيد عدم النسخ بعدم النسخ بكتاب غير القرآن ينسخ القرآن بعده كما نسخ القرآن غيره فإن وجود النسخ بين الآيات القرآنية نفسها مما لا ينبغي الارتياح فيه. و التقييد المذكور لا دلالة عليه من جهة لفظ الآية.

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ

- و كقول بعضهم: إن المراد أحكمت آياته بالأمر و النهي ثم فصلت بالوعد و الوعيد و الثواب و العقاب. و فيه أنه تحكم لا دليل عليه أصلاً.
- و كقول بعضهم: إن المراد إحكام لفظها بجعلها على أبلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزاً، و تفصيلها بالشرح و البيان. و الكلام في هذا الوجه كسابقه.

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

- و كقول بعضهم: المراد بإحكام آياته جعلها محكمة متقنة لا خلل فيها و لا باطل، و المراد بتفصيلها جعلها متتابعة بعضها إثر بعض. و فيه: أن التفصيل بهذا المعنى غير معهود لغة إلا أن يفسر بمعنى التفرقة و التكثير و يرجع حينئذ إلى ما قدمناه من المعنى.

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ

• و كقول بعضهم: إن المراد أحكمت آياته جملة ثم فرقت في الإنزال آية بعد آية ليكون المكلف أمكن من النظر و التأمل.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

• وفيه: أن الأحرى بهذا الوجه أن يذكر في مثل قوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة:» الدخان: - ٣، و قوله: «و قرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً:» إسرائ: - ١٠٦

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

• وما في هذا المعنى من الآيات مما يدل على أن للقرآن مرتبة عند الله هي أعلى من سطح الأفهام ثم نزل إلى مرتبة تقبل التفهم والتفقه رعاية لحال الأفهام العادية كما يشير إليه أيضا قوله: «وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِيَّ حَكِيمٍ:» الزخرف: - ٤.

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

• و أما آيتنا التي نحن فيها كتاب أحكمت آياته ثم فصلت «إلخ، فقد علق فيها الأحكام و التفصيل معا على الآيات، و ليس ذلك إلا من جهة معانيها فتفيد أن الأحكام و التفصيل هما في معاني هذه الآيات المتكثرة فلها جهة وحدة و بساطة و جهة كثرة و تركيب، و ينطبق على ما قدمناه من المعنى لا على ما ذكره الراجع إلى مسألة التأويل و التنزيل فافهم ذلك.

كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

• و كقول بعضهم: إن المراد بالإحكام و التفصيل إجمال بعض الآيات و تبين البعض الآخر، و قد مثل لذلك بقوله تعالى في هذه السورة: «مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ:» الآية: - ٢٤، فإنه مجمل محكم يتبين بما ورد فيها من قصة نوح و هود و صالح. و هكذا.

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- وفيه: أن ظاهر الآية أن الأحكام و التفصيل متحدان من حيث المورد بمعنى أن الآيات التي ورد عليها الأحكام بعينها هي التي ورد عليها التفصيل لا أن الأحكام وصف لبعض آياته و التفصيل وصف بعضها الآخر كما هو لازم ما ذكره.

كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ

• و قوله تعالى: «مَنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ» الحكيم من أسمائه الحسنی الفعلية يدل على إتقان الصنع، و كذا الخبير من أسمائه الحسنی يدل على علمه بجزئيات أحوال الأمور الكائنة و مصالحها، و إسناد إحكام الآيات و تفصيلها إلى كونه تعالى حكيمًا خيرًا لما بينهما من النسبة.

كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا
مَثَانِي نَقَّصِرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ نَجْمٌ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَ مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

كتاباً مُتَشَابِهاً مِثَانِي

- و قوله: «كتاباً مُتَشَابِهاً» أى يشبهه بعض أجزاءه بعضاً و هذا غير التشابه الذى فى المتشابه المقابل للمحكم فإنه صفة بعض آيات الكتاب و هذا صفة الجميع.

كتاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي

• و قوله: «مَثَانِي» جمع مثنية بمعنى المعطوف لانعطاف بعض آياته على بعض و رجوعه إليه بتبين بعضها ببعض و تفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه بعضاً و يناقضه كما قال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا:» النساء: - ٨٢.

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- بخلاف وصف الإحكام و الإتيان الذى لبعض آياته بالنسبة إلى بعض آخر من جهة امتناعها عن التشابه فى المراد.

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر
متشابهات

• و بعبارة أخرى لما كان قوله منه آيات محكمات هن ام الكتاب و آخر متشابهات مشتقاً على تقسيم آيات الكتاب إلى قسمي المحكم و المتشابه علمنا به أن المراد بالإحكام غير الإحكام الذي وصف به جميع الكتاب في قوله: **كتاب أحكمت آياته** الآية و كذا المراد بالتشابه فيه غير التشابه الذي وصف به جميع الكتاب في قوله: **«كتاباً متشابهاً مثاني»**: الزمر - ٢٣.

منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات

• و قد وصف المحكمات بأنها أم الكتاب، و الأم بحسب أصل معناه ما يرجع إليه الشيء، و ليس إلا أن الآيات المتشابهة ترجع إليها فالبعض من الكتاب و هي المتشابهات ترجع إلى بعض آخر و هي المحكمات و من هنا يظهر أن الإضافة في قوله أم الكتاب ليست لامية كقولنا: أم الأطفال، بل هي بمعنى من، كقولنا نساء القوم و قدماء الفقهاء و نحو ذلك،

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- فالكتاب يشتمل على آيات هي أم آيات آخر،
- و في أفراد كلمة الأم من غير جمع دلالة على كون المحكمات غير مختلفة في أنفسها بل هي متفقة مؤتلفة.

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و آخر متشابهات

• وقد قوبلت المحكمات في الآية بقوله: و آخر
متشابهات، و التشابه توافق أشياء مختلفة و اتحادها في
بعض الأوصاف و الكيفيات، و قد وصف الله سبحانه
جميع القرآن بهذا الوصف حيث قال: «كتاباً متشابهاً
مثنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» الآية:
الزمر - ٢٣،

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- والمراد به لا محالة كون آيات الكتاب ذات نسق واحد من حيث جزالة النظم، وإتقان الأسلوب، و بيان الحقائق و الحكم، و الهداية إلى صريح الحق كما تدل عليه القيود المأخوذة في الآية، فهذا التشابه وصف لجميع الكتاب،

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

• و أما التشابه المذكور في هذه الآية، أعني قوله: و آخر متشابهات، فمقابلته لقوله: منه آيات محكمات هن ام الكتاب، و ذكر اتباع الذين في قلوبهم زيغ لها ابتغاء الفتنة و ابتغاء التأويل، كل ذلك يدل على أن المراد بالتشابه كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى و معنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين هي معناها و تبينها بيانا، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة،

منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات

- و الآية المحكمه محكمه بنفسها، كما أن قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» طه - ٥، يشتهبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» الشورى - ١١، استقر الذهن على أن المراد به التسلط على الملك و الإحاطة على الخلق دون التمكن و الاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- وكذا قوله تعالى: «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»: القيامة - ٢٣، إذا أُرْجِعَ إِلَىٰ مِثْلِ قَوْلِهِ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ»: الأنعام - ١٠٣، علم به أن المراد بالنظر غير النظر بالبصر الحسي، وكذا إذا عرضت الآية المنسوخة على الآية الناسخة تبين أن المراد بها حكم محدود بحد الحكم الناسخ وهكذا.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فهذا ما يتحصل من معنى المحكم و المتشابه، و يتلقاه الفهم الساذج من مجموع قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَإِنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةً بِلَا شَكٍّ وَ لَوْ فَضَّ جَمِيعَ الْقُرْآنِ غَيْرَهَا مُتَشَابِهًا.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- ولو كانت هذه الآية متشابهة عادت جميع آيات القرآن متشابهة و فسد التقسيم الذي يدل عليه قوله: منه آيات إلخ، و بطل العلاج الذي يدل عليه قوله: هن أم الكتاب، و لم يصدق قوله: «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا و نذيرا»: حم السجدة - ٤،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و لَمْ يَتِمَّ الْإِحْتِجَاجُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»: النساء - ٨٢، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن القرآن نور و هدى و تبيان و بيان و مبين و ذكر و نحو ذلك.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- على أن كل من يرعى نظره في آيات القرآن من أوله إلى آخره لا يشك في أن ليس بينها آية لها مدلول و هي لا تنطق بمعناها و تضل في مرادها، بل ما من آية إلا و فيها دلالة على المدلول: إما مدلول واحد لا يرتاب فيه العارف بالكلام، أو مداليل يلتبس بعضها ببعض، و هذه المعاني الملتبسة لا تخلو عن حق المراد بالضرورة و إلا بطلت الدلالة كما عرفت،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- وهذا المعنى الواحد الذي هو حق المراد لا محالة لا يكون أجنيا عن الأصول المسلمة في القرآن كوجود الصانع و توحيده و بعثه الأنبياء و تشريع الأحكام و المعاد و نحو ذلك، بل هو موافق لها و هي تستلزمه و تنتجه و تعين المراد الحق من بين المداليل المتعددة المحتملة، فالقرآن بعضه يبين بعضا، و بعضه أصل يرجع إليه البعض الآخر.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- ثم إن هذا الناظر إذا عثر بعد هذه النظرة على قوله تعالى: منه آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ، لم يشك في أن المراد بالمحكمات هي الآيات المتضمنة للأصول المسلمة من القرآن
- و بالمتشابهات الآيات التي تتعين و تتضع معانيها بتلك الأصول.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فَإِنْ قُلْتَ: رَجُوعُ الْفُرُوعِ إِلَى الْأَصُولِ مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ فِيمَا كَانَ هُنَاكَ أَصُولٌ مُتَعَرِّقَةٌ وَفُرُوعٌ مُتَفَرِّقَةٌ سِوَاءَ فِيهِ الْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ وَغَيْرِهَا، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَوْجِبُ حُصُولَ التَّشَابُهِ، فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ؟

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- قلت: وجهه أحد أمرين، فإن المعارف التي يلقيها القرآن على قسمين: فمنها معارف عالية خارجة عن حكم الحس و المادة، و الأفهام العادية لا تلبث دون أن تتردد فيها بين الحكم الجسماني الحسي و بين غيره كقوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ»: الفجر - ١٤ و قوله تعالى: «وَجَاءَ رَبُّكَ»: الفجر - ٢٢،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فيتبادر منها إلى الذهن المستأنس بالمحسوس من الأحكام معان هي من أوصاف الأجسام و خواصها، و تزول بالرجوع إلى الأصول التي تشتمل على نفي حكم المادة و الجسم عن المورد، و هذا مما يطرد في جميع المعارف و الأبحاث غير المادية و الغائبة عن الحواس، و لا يختص بالقرآن الكريم بل يوجد في غيره من الكتب السماوية بما تشتمل عليه من المعارف العالية من غير تحريف،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و يوجد أيضا في المباحث الإلهية من الفلسفة، و هو الذى يشير إليه القرآن بلسان آخر فى قوله تعالى:
- «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا» الآية: الرعد - ١٧، و قوله: «إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِي حَكِيمٌ»: الزخرف - ٤

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و منها ما يتعلق بالنواميس الاجتماعية و الأحكام الفرعية، و اشتمال هذا القسم من المعارف على الناسخ و المنسوخ بالنظر إلى تغير المصالح المقتضية للتشريعات و نحوها من جهة، و نزول القرآن نجوما من جهة أخرى يوجب ظهور التشابه في آياتها، و يرتفع التشابه بإرجاع المتشابه إلى المحكم، و المنسوخ إلى الناسخ.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، الزيغ هو الميل عن
 الاستقامة، و يلزمه اضطراب القلب و قلقه بقرينه ما
 يقابله في ذيل الآية من قوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ
 يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا،

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• فَإِنَّ الْآيَةَ تَصِفُ حَالَ النَّاسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَلْقَى الْقُرْآنَ
 بِمَحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ زَائِغُ الْقَلْبِ وَ
 مَائِلُهُ وَمُضْطَّرِبُهُ فَهُوَ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءً لِلْفِتْنَةِ وَ
 التَّأْوِيلِ،

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• و منهم من هو راسخ العلم مستقر القلب يأخذ بالمحكم
 و يؤمن بالمتشابه و لا يتبعه، و يسأل الله تعالى أن لا
 يزيغ قلبه بعد الهداية.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• و من هنا يظهر: أن المراد باتباع المتشابهه اتباعه عملا لا
 إيمانا، و أن هذا الاتباع المذموم اتباع للمتشابهه من غير
 إرجاعه إلى المحكم، إذ على هذا التقدير يصير الاتباع
 اتباعا للمحكم و لا ذم فيه.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• و المراد **بابتغاء الفتنة طلب إضلال الناس**، فإن الفتنة تقارب الإضلال في المعنى، يقول تعالى: يريدون باتباع المتشابه إضلال الناس في آيات الله سبحانه، و أمرا آخر هو أعظم من ذلك، و هو الحصول و الوقوف على تأويل القرآن و ماخذ أحكام الحلال و الحرام حتى يستغنوا عن اتباع محكمات الدين فينتسخ بذلك دين الله من أصله.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

- **والتأويل من الأول** و هو الرجوع فتأويل المتشابه هو
 المرجع الذي يرجع إليه، و تأويل القرآن هو المأخذ
 الذي يأخذ منه معارفه.